مسرحية للفتيان

الفوز العظيم

بقلم: د. علاء حسني المزين*
مصر

المشهد الأول

المنظر: حجرة صالون فخمة، المنضدة في وسط المسرح، يحوطها كرسيان من كل جانب، في الخلف نافذة كبيرة، تظهر من ورائها بعض الأشجار، بأحد جانبيها مكتبة كبيرة، منظمة بعناية، وعلى الجانب الآخر لوحة كتب عليها بخط كبير:(بسم الله الرحمن الرحيم).

(للحجرة مدخلان عن يمين وشمال) . (يفتح الستار على ولدين يتحدثان، يجلس أحدهما على الكرسي، ويقف الآخر أمام المكتبة) .

خالد : هل تدري يا أحمد لماذا دعانا والدنا اليوم؟

أحمد: علمي.. علمك.. لقد أتاني العم عبده منذ قليل، وأنا في الحديقة أقرأ قصة شائقة.. وأخبرني أن أبي يريدني على جناح السرعة فلم أملك إلاّ أن أطيع.

خالد: أما أنا فكنت مشغولا بممارسة هوايتي المحببة، صناعة نماذج الطائرات، حين جاءني العم عبده فأبلغني الأمر نفسه.. فأتيت مسرعا، ولم أكن أعرف أنك مدعو «مثلي».. لا بد أن الأمر مهم.. ماذا تتوقع أن يكون؟

أحمد: الله أعلم، بعد قليل نعرف.. فلم القلق؟

خالد: لقد كان معنا على مائدة الإفطار، قبل أن ينصرف كل واحد منا إلى شأنه، ولم يشر إلى هذا اللقاء.. فلا بد أن لديه مفاجأة سارة.. ماذا تتوقع؟

أحمد: لا أدري، لماذا أنت قلق لهذه الدرجة؟ هل هذه أول مرة يستدعينا فيها فجأة؟ أم أنك فعلت شيئا تخشى عاقبته؟

خالد: لا والله ما فعلت شيئا.. بل أنا مستقيم جدا منذ بداية الإجازة، من البيت إلى النادي، ومن النادي إلى البيت، وأحافظ على الصلوات في أوقاتها في انتظام لم يسبق له مثيل..

أحمد: إذن.. فلماذا أنت قلق؟.. أرح أعصابك فالقلق الزائد يضر صحتك . خذ هذه القصة اللطيفة،

* أديب مصري - أستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

املأ بها وقتك حتى يحضر أبي.

خالد: أنت تعرف أنني لا أحب القراءة.. ولكن ألا تلاحظ أن أخانا عَمْرا لم يحضر حتى الآن؟! هل تتوقع أن أبي لا يريد غيرنا.. فقط أنا وأنت؟

أحمد: ولماذا لا تتوقع أن عَمْرا بلغه الأمر مثلي ومثلك، ولكنه كعادته نسي نفسه أمام التلفزيون.. ونسي بالتالي أمر أبيه؟!

خالد: نعم، عندك حق.. إن أخانا عَمْرا حين يجلس أمام التلفزيون لا يكاد يقوم، وينسى ما عليه من واجبات.

أحمد: إن هذا الجهاز - رغم نفعه أحيانا - يلتهم الوقت ويصرف الإنسان عن القراءة النافعة التي تجعل الفكر ناضجا، والخيال خصبا، واللسان طليقا..

خالد: بالإضافة إلى ذلك فإن الحملقة فيه لمدة طويلة قد تضر بالعين ضررا شديدا.

أحمد: إن الإنسان العاقل يجب ألا يكون أسير شيء، لا عادة من العادات، ولا شخص من الأشخاص.

خالد: العجيب فيك أنك تقول أحيانا كلاما كالحكم.

أحمد: إنها القراءة ياعزيزي.

خالد: حقا إن لك صبرا على القراءة عجيبا.. إنني لا أتخيل نفسي مكبا على كتاب ساعة كاملة كما تفعل.

أحمد: كل شيء يمكن أن يحدث بالتعود عليه، وهل الإنسان يولد بكل عاداته. كل شيء بالتعود.

عمرو: (يسمع صوته من الخارج) يا عم عبده، أرجوك، دعني أفتح «التلفزيون» إنه مسلسل شائق، أريد أن أعرف كيف ينتهي.. الله يخليك.. دعني أفتح «التلفزيون».

العم عبده: يعني تهمل أمر والدك يا عمرو.. يصح هذا؟..

عمرو: لا والله.. أمر والدي على الرأس والعين. وسأحضر حالا وراءك، ولكن دع لي «التلفزيون» مفتوحا قليلا، أرجوك.. أرجوك يا عم عبده، سينتهي المسلسل.

أحمد: **(يكلم خالدا)** ألم أقل لك؟ **(ينظر من أحد بابي الصالة وينادي)** هيا يا عمرو، إنك تضيع عمرك الثمين بهذه الطريقة.

عمرو: **(يدخل)** دعني أنت الآخر.. وفر نصائحك لنفسك إنني أستمتع بعمري بالأسلوب الذي أحبه.

أحمد: كل الذين يضيعون أعمارهم، يخدعهم الشيطان اللعين، بهذا الكلام الفارغ. إن أعداءنا تقدموا وأصبحوا أقوياء، لأنهم تعلموا كيف يستفيدون من وقتهم، وتأخرنا نحن، لأننا أصبحنا نتفنن في تضييع أوقاتنا.

عمرو: **(بضيق)** أوه.. اسكت ودعني في حالي.. لا أريد أن أسمع منك خطبا ونصائح، إن كثرة القراءة جعلتك كالببغاء، تتكلم كثيرا وتوجع الدماغ.

أحمد: سامحك الله يا أخي.. أنت معذور، لأنك غضبان، والغضبان كالمجنون، لا يدري ما يقول.

عمرو: يا بابا.. يا بابا.. تعال سريعا أنا تعبت جدا..

(يدخل الأب بتؤدة يتوكأ على عصاه)

الأب: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، خير يا أولاد؟ لم تصيح يا عمرو؟ ماذا بك؟ أهكذا أنت دائما مصدر الضجة في هذا المنزل.. قل لي ما سر ضيقك؟ اجلسوا يا أولاد.

عمرو: أحمد.. أحمد يا بابا كثير الكلام.. صدع رأسي بنصائحه الفارغة.. يعيد كل ما حفظه من الكتب التافهة التي يضيع وقته في قراءتها.

أحمد: سامحك الله يا عمرو.. هل هذا هو السبب الحقيقي لضيقك؟

الأب: اسكت يا أحمد.. أولا يا سيد عمرو أنا لا أتفق معك في أن ما يقرؤه أخوك أحمد كتب تافهة لأنني أعرف ما يقرأ.. وثانيا أختلف معك أيضا في أن القراءة مضيعة للوقت.. من قال ذلك؟

عمرو: أنا لا أقصد هذا؟

الأب: ماذا كنت تقصد إذن؟

عمرو: قصدت.. **(بضيق)** أوه.. أنا كنت متضايقا.. لم أدر ما أقول.

الأب: إذن فأنت متفق معي في أن القراءة ما دامت لا تعطلك عن واجباتك ليست تضييعا للوقت.

عمرو: نعم.

الأب: عظيم.. فما هو السبب الحقيقي لضيقك وصراخك منذ قليل؟

عمرو: لم يكن عندي استعداد لسماع نصائح أحد.

الأب: هل هذا هو السبب الحقيقي؟ بصدق؟

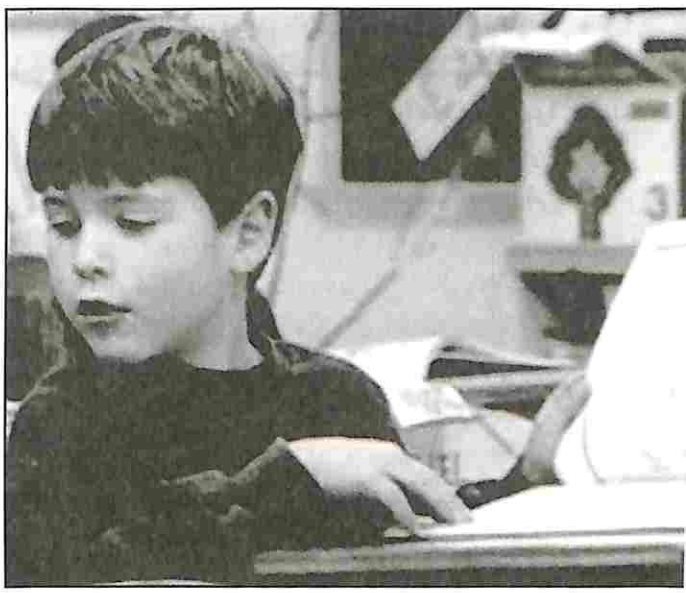

عمرو: **(يختنق صوته بالبكاء كمن يفتعله)** كنت أشاهد مسلسلا شائقا «بالتلفزيون» عندما جاء العم عبده يدعوني لمقابلة حضرتك .. ولأنني كنت مشدودا لأحداث المسلسل فقد طلبت منه أن ينتظر قليلا حتى ينتهي، لكنه أغلق «التلفزيون» ولم يسمح لي أن أفتحه **(يبكي)** .

الأب: أولا أنا مسرور لأنك صدقت.. وأرجو أن تكون صادقا كل مرة، فالصدق كما اتفقنا شيمة الرجال وأنت رجل كبير.. أليس كذلك؟ ولكن أجبني يا صديقي هل مشاهدة المسلسل أهم لديك مني؟

عمرو: لا.. طبعا .

الأب: فلماذا تفضله عليّ.. أنا أدعوك لمقابلتي.. أنا والدك وصديقك فتتكاسل عن دعوتي بسبب هذا الأمر التافه.. لا.. لا يا عمرو.. لقد آلمتني أشد الألم.. ما كنت أنتظر منك أيها الولد النجيب ذلك .

عمرو: أنا.. أنا آسف يا بابا..

الأب: ألم أقل لك من قبل لا تفعل شيئا يمكن أن تتأسف منه.. تصرف دائما التصرف السليم حتى لا تضطر للأسف والاعتذار لأحد .

عمرو: لن يتكرر مني ما يغضبك ثانية يا أبي .

الأب: وعد رجل مسلم؟!.

عمرو: وعد .

الأب: عظيم.. هيا إذن.. ارفع رأسك.. اعدل قامتك، اعتز بنفسك.. ابتسم.. ابتسم يا ولد، أرني بسمتك الحلوة . إن البسمة تنير الوجه وتريح القلب . لا شيء في الدنيا كلها يستحق أن تبكي بسببه إلا شيئا واحدا هل تدري ما هو يا عمرو؟ هل تعرفه يا خالد؟ تعرفه أنت يا أحمد؟

أحمد: نعم.. إنه معصية الله عز وجل .

الأب: ممتاز.. ممتاز يا أحمد بارك الله فيك.. معصية الله.. نعوذ بالله من عصيان الله . إن هذا البيت يا أولادي نظيف لم يشم منه أحد رائحة المعصية.. فإياكم أن يشمها أحد منه يوما ما.. إنني واثق فيكم، وأرجو أن تكون ثقتي في محلها. والآن دعونا نتحدث فيما جمعتكم له.. **(ينادي العم عبده)**: يا عم عبده .

العم عبده: أمرك يا أستاذ.

الأب: إذا تكرمت.. أعد لنا مشروبا لذيذا بيديك المباركتين، ولك جزيل الشكر .

العم عبده: عيناي لكم يا أستاذ.. حالا.. **(يخرج)** .

الأب: لقد عزمت أن أؤدي فريضة الحج عن والدتكم – رحمها الله .

أحمد: وهل يجوز أن يحج إنسان بدلا من غيره؟

الأب: نعم يجوز أن تحج عن الميت.. وتقضي عنه دينه.. وهذا مع الدعاء من أفضل الهدايا التي تقدمها للميت في قبره..

خالد: من اليوم ستصل مني إلى والدتي هدايا كثيرة – إن شاء الله .

الأب: بارك الله فيك.. ونفعنا بك.. هكذا يكون الولد البار بوالديه، يبرهما في حياتهما، وبعد موتهما.. المهم يا أولاد.. أنني قررت أن أصطحب أحدكم معي في رحلتي هذه بإذن الله.

عمرو: خذني أنا يا أبي.. بالله عليك.. إنها رحلة ممتعة..

خالد: بل خذني أنا يا أبي.. أريد أن أرى بعيني الكعبة.. أصلي في مسجد رسول الله ﷺ في المدينة المنورة وأسلم عليه .

الأب: وأنت يا أحمد.. ألا تريد أن ترافقني في هذه الرحلة؟

أحمد: أكذب عليك إن قلت لك غير هذا، لكني أترك الأمر

لله . والخير فيما يختاره الله.

الأب: على كل حال.. فإن هذه الرحلة العظيمة لن ينالها إلاّ من يستحقها.. لن ينالها إلا من نجح في الامتحان .

عمرو: أنت تعرف أنني كنت الأول على المدرسة كلها هذا العام.. وشهادتي تثبت ذلك .

خالد: وأنا كذلك كنت من أوائل الصف.. وقد كنت محافظا على تفوقي طوال العام .

الأب: أنا لا أقصد امتحان المدرسة.. فالشيء الطبيعي من التلاميذ المجدين أن يكونوا في الأوائل لا الأواخر.. أنا أقصد امتحانا أعقده لكم لكي يظهر فيه المستحق لهذه الجائزة الكبرى.. الرحلة إلى بيت الله الحرام .

عمرو: ونحن مستعدون للامتحان .

خالد: هل نحضر أوراقا وأقلاما؟

الأب: لا هذا ولا ذاك.. بل هو امتحان عملي .

الأولاد : عملي !!

الأب : نعم.. ما قولكم؟

عمرو: نحن مستعدون لأي امتحان .

الأب: عظيم.. عظيم.. **(ينادي)** يا عم عبده.. يا عم عبده..

العم عبده: أمرك أستاذ..

الأب: أحضر البنادق الثلاثة التي اشتريتها.

عم عبده: أمرك يا أستاذ (يخرج) .

خالد: بنادق.. ما نفعل بها؟

العم عبده: ها هي ذي البنادق . مبارك عليكم يا أولاد هداياكم الجديدة .

عمرو: الله !! بنادق جميلة .

أحمد: كانت نفسي في بندقية جديدة منذ زمن.. أشكرك يا بابا .

خالد: إنها أجمل بكثير من كل البنادق التي عندنا.

والآن ليأخذ كل منكم بندقيته.. بندقيتك يا أحمد.. وأنت يا خالد.. وأنت يا عمرو.. هل تعرفون كيف تستخدمونها؟

الأولاد: نعم.. نعم **(يأخذ كل منهم في تجريب بندقيته).**

الأب: إذن.. نبدأ الامتحان.. مطلوب من كل منكم أن ينزل الآن ليصطاد أكبر يمامة تقع عليها عيناه على شرط واحد..

الأولاد : وما هو الشرط؟

الأب: ألاّ يراكم أحد على الإطلاق وأنتم تصطادونها .

عمرو: وكيف تعرف أني اصطدت يمامتي دون أن يراني أحد؟ هل سترسل وراءنا جواسيس يراقبوننا؟

الأب: **(يضحك)** لا، طبعا لن أرسل وراءك جواسيس، ولكني سأتركك لضميرك..

خالد: والفائز طبعا هو من يصطاد يمامة أكبر حجما ووزنا من غيره .

الأب: **(يهز رأسه)** بشرط ألا يراه أحد، والآن يا فرسان، لنبدأ الامتحان، وأمامكم ساعتان

لإنهاء الامتحان .

عمرو: سوف تجدني أمامك قبل ذلك بكثير.. بيدي يمامة لم تر مثلها من قبل، ولن ترى مثلها بعد اليوم.. هيا إلى العمل .

أحمد: انتظر يا عمرو من فضلك.. بابا أليس الصيد لمجرد اللهو حراما يغضب الله؟

الأب: بلى.. ولكننا لا نلهو.. نحن في امتحان.. وسوف نأكل اليمام اللذيذ الذي تصطادونه .

أحمد: وهذا يقتضي أن تعلمنا آداب الصيد في الإسلام .

خالد: وهل للصيد آداب؟

الأب: نعم أدب الصيد ألا تصطاد شيئا لمجرد اللهو، ولكن تصطاد ما سوف تأكله.. وحين تخرج للصيد تسمي الله، حتى إذا مات الطائر الذي تصطاده برصاص بندقيتك يكون حلالا لك أكله.. وإذا وقع الطائر جريحا، فلا تعذبه بتركه ينزف، ولكن سارع بذبحه بالسكين الحادة، وتقول وأنت تذبح : بسم الله.. الله أكبر، وتقطع رقبته من عند حلقومه **(يشير إلى رقبته)**، ثم عليك ألا تصطاد شيئا تعلم أو تظن أنه ملك لغيرك من الناس، كالحمام الذي يربى في المنازل وغيره من هذه الدواجن .

عمرو: يا سلام ومن ينتبه لهذا كله؟

الأب: المؤمن الصالح الحريص على إرضاء ربه ينتبه لهذا ولأقل من هذا..

خالد: ولكننا أخطأنا كثيرا في الماضي.

الأب: عفا الله عما سلف، واستغفر الله من كل ذنب فعلته في الماضي.. والمهم أن تلتزم بهذه الآداب في المستقبل.. والآن انطلقوا فلقد مضى من زمن الامتحان عشر دقائق .

(ينصرف الأولاد)

الأب: حقا تربية الأولاد ليست شيئا سهلا.. إنها معركة أهم من كل المعارك التي خضتها.. اللهم أعني على حسن تربيتهم يا رب.

(يخرج من أحد بابي المسرح) .

(يدخل العم عبده يأخذ صينية المشروب الذي قدمه، ويرتب المكان ثم يخرج) .

«المشهد الثاني»

يدخل عمرو حاملا في إحدى يديه يمامة، وفي الأخرى بندقيته، وفي عينيه ملامح الفرحة) .

عمرو: ها هو ذا.. أنا الفائز بإذن الله.. أكبر يمامة في تاريخ البشرية.. يا عيني على عبقريتك ومهارتك في إصابة الهدف يا عمرو.. هي رصاصة واحدة ونزلت اليمامة ترف..

أسف يا يمامتي .. لكن أنا في نفسي أن أسافر مع بابا.. أزور الكعبة ومسجد الرسول ﷺ أنا لم أعذبك.. سقطت جريحة فذبحتك في الحال كما قال بابا .

هيه.. مرّ من الزمن ساعة ونصف ولم يحضر خالد و أحمد.. بالتأكيد هما الآن دائخان وراء اليمام في كل مكان.. حتى يصلا إلى مكان ليس فيه أحد.. هنا مخ.. فهمت اللعبة.. بعد نصف ساعة.. نصف ساعة فقط ينتهي الامتحان وتعلن النتيجة.. ويفوز عمرو عبدالرحمن بالجائزة الكبرى.. دقي.. دقي يا ساعة.. دقي.. دقي.. تك.. تك.. اجري يا ساعة.. اجري.. اجري.. تك تك تك تك تك..

(خالد يدخل لاهثا في يده بندقيته.. وفي الأخرى يمامة) .

خالد: الله يا عمرو أنت وصلت؟!

عمرو: من زمان يادنيا **(باعتزاز)** هذا شيء متوقع يا عزيزي.. ما هذا؟ عصفورة..؟

خالد: أنت أعمى!!.. إنها يمامة.. أكبر يمامة وقعت عليها عيناي اليوم.. ظللت أتتبعها من شجرة إلى شجرة، ومن جدار إلى جدار.. حتى استقرت بمكان ليس فيه أحد.. فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلما لم أر أحدا.. ولا مجرد أثر لإنسان.. صوبت بندقيتي.. وأطلقتها في لمح البصر وبكل دقة.. سقطت اليمامة مع أول طلقة بلا حركة.. ويشهد الله أني راعيت الآداب التي قال عنها بابا.. قلت في سري : بسم الله.. الله أكبر..

عمرو: **(بفخر)** عظيم، عظيم،.. كل هذا عظيم.. ولكن هذه – يا عزيزي – عصفورة.. وليست يمامة بل هي طائر

أدنى منزلة من العصافير يسمى أبو فصادة .

خالد: لا.. لا.. إنها يمامة.. والله العظيم يمامة.. وهي أكبر من يمامتك.. أليست هذه يمامتك.. دعنا نقارنها.. أنا الفائز.. أنا الفائز..

عمرو: بل أنا الفائز.. لا تتعب نفسك.. حظ سعيد في المرات القادمة.. ماذا تريد أن أحضر لك من الأراضي المقدسة؟

خالد: الآن يأتي بابا ويحكم بيننا.. ثم من أدراك أن أحمد لا يصطاد واحدة أكبر من يمامتي ويمامتك .

عمرو: أحمد من يا عم؟ انظر.. بقي من الزمن دقيقتان.. نصف دقيقة.. ثانية.. انتهى الزمن.. أعلنت النتيجة.. أنا الفائز.. أنا الفائز..

(يقفز داخل الغرفة هنا وهناك)

(يدخل الأب)

الأب: ما هذا . ما هذا يا ولد يا عمرو؟

عمرو: آسف يا بابا.. إنها فرحة الفوز .

الأب: فوز ماذا؟

عمرو: فوزي بالجائزة الكبرى.. بالحج إلى بيت الله الحـــــرام.. انظر.. انظر يا أبي.. ها هي ذي يمامتي.. وتلك يمامة خالد . أليست يمامتي هي الأكبر.. أليست يمامته هذه تشبه أبا فصادة شكلا ووزنا؟

الأب: ألا تنتظر حتى يحضر أحمد لعله اصطاد يمامة أكبر من يمامتك؟

عمرو: لقد انتهى زمن الامتحان.. وضاعت عليه الفرصة.. وأصبحت الفائز بلا منازع.. أنت لم تقل لنا إن بعد الامتحان ملحقا . إذن الفائز..

(يدخل أحمد مطأطئ الرأس يحمل البندقية)

آه.. هاَ هو ذا البطل المنتظر.. عاد إليكم خاوي اليدين، ليس معه شيء.. ولا حتى جناح عصفورة.. أنا الفائز.. أنا الفائز.. إلي بإكليل الغار.. أين أقواس النصر؟! اصطفوا أيها المهنئون على الجانبين صفوفا.. صفوفا.. وانشروا الورود على رأس الفارس الهمام.. والبطل المقدام.. عمرو عبدالرحمن .

الأب: هل هدأت قليلا.. أيها الممثل البارع حتى تسمع قصة أخيك؟

عمرو: اسمعوا ما شئتم فما عاد السماع يقدم أو يؤخر.. لقد أعلنت النتيجة وانتهى الأمر.

(يجلس في زهو وخيلاء).

الأب: هيه يا أحمد.. أين يمامتك؟

أحمد: لقد اشترطت علينا يا أبي ألا يرانا أحد ونحن نصطاد اليمامة، ولكني ما ذهبت إلى مكان إلاّ ورأيت من يراني.. رأيت الله.. يراني في كل مكان.. في كل مكان..

عمرو: آه.. ضاعت الجائزة..

الأب: تعال إلى حضني يا أحمد.. أنت حقا الذي يستحق الجائزة.. **(يحضنه)**.. زادك الله إيمانا وفقها يابني..

(يصافح أحمد ويحضنه بحرارة)

(تمر فترة صمت يبدو فيها الولدان يفكران ثم يقترب خالد من أحمد ويصافحه) .

خالد: أهنئك يا أحمد.. أهنئك من كل قلبي.. إنني أشعر اليوم أنني أحبك أكثر من أي يوم مضى.. يشهد الله إنني لا أشعر بضيق لأنك تفوقت عليّ، بل أشعر بفرح لأنك حقا تستحق الجائزة بجدارة، لأنك مؤمن لا تضيع وقتك وتحسن التفكير.. وتقرأ..

عمرو: وأنا أيضا يا أحمد أهنئك بالجائزة من أعماق قلبي.. ويعلم الله أنني غير متضايق بفوزك عليّ.. بل أنا سعيد لأنك أحق بالفوز مني.. إنك علمتني اليوم درسا لن أنساه.. أعاهدكم جميعا.. أنني لن أضيع وقتي بعد اليوم أبدا.. أبدا.. سأقرأ كل الكتب التي في هذه المكتبة.. لن أضيع الصلاة في المسجد.. لن أضيع الصلاة في المسجد..

الأب: مرحى.. مرحى يا أولادي..

أهنئكم جميعا.. لقد فزتم كلكم في هذا الاختبار.. فاز أحمد لأنه فهم الشرط الذي اشترطته عليكم.. وفزتم أنتم لأنكم لم تحقدوا عليه حين فاز عليكم وصممتم على أن تقتدوا به في صفاته الطيبة .

أهنئكم جميعا يا أولادي.. سنكون معا رفقاء في الرحلة المقدسة إلى بيت الله الحرام.. هيا نستعد.. من الآن بتجهيز حقائب السفر هيا.. هيا.. هيا .

النهاية.